

جُلَّاصَةُ الثَّنَاءِ فِي فَضِيلَةِ الْحَيَاءِ

بِقَلَمِ
حَمْدِ عَطَا سَعِيدٍ رَمَضَانَ



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kolob Al-Ilmiyah
مركز دراسات إسلامية
سنة 1421 هـ / 2000 م

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين وآخرين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين

: وبعد

فالحياء رأس الفضائل الخلقية ، وعماد الشعب الإيمانية ، به يكمل الدين ، ويصلح وتسود الفضيلة ، وتنعدم الرذيلة . والحياء عنوان الإسلام ، ودليل الإيمان ، ورائد الخير والهدى ، له مزية كبرى في سيرة الإنسان وسلوكه في الحياة ، لأنه من أقوى الروابط التي تربط الأخ بأخيه والوالد بأبيه ، والزوج بزوجه ، والصديق بصديقه ، والتلميذ بأستاذه ، وبذلك يكون المجتمع الإنساني متعاوناً متآزراً متماسكاً ، قوياً متيناً ، يقطع حياته في ظل وارف من الأمن والأمان ، ويقضي عيشه في نظام شامل من السلم والاستقرار . فهو مصدر كل خير وير ، ومنبع كل فضل وعدل ، ونواة كل مروءة وكرامة ، ومفتاح كل كسب وغنمة ، وطريق كل سلامة ونجاة ، ودليل العفاف . والسكينة ، وبرهان الهدوء والطمأنينة ، وآية الإخلاص والوفاء ، وعلامة الإيمان واليقين ، وهو خلق الأنبياء ، وحلية الأتقياء .

فالحياء يعود المؤمن على أن يراقب الله في كل خطوة وخطره ، وفي كل لحظة ونجوى ، وأن يخشاه في السر والعلانية وأن يستحي منه . حق الحياء .

. فهو يروض العبد على التربية الربانية ، ويدربه على المراقبة الإلهية ، ويقوده إلى أدب السلوك مع ملك الملوك

والحياء أمانة دالة على حسن السريرة ، وسلامة الطوية ، وعلامة داله على ما يتحلى به الإنسان من سكينه ووقار ، وصدق وإخلاص ، وعفه وشهامه ، تمنعه من ارتكاب القبائح والشُرور وتحجزه عن اقتراف الآثام والفسوق ، وتردعه نفسه عن شهواتها المحرمة ، وتصددها عن أمارتها السيئة ، وتمنعها من الطغيان ومجاوزة الحدود ، وتردها إلى العفة والرزانة ، وتقودها إلى الحق والعدل والأمانة . لقد أخذ سلفنا الصالح بهذه الفضائل ، وتلقوها تلقياً روحياً وعملياً ، فكانوا خير أمة أخرجت للناس في الدين والدنيا ، وأصبحوا مضرب الأمثال . في سمو الأخلاق ، واستقامة السلوك ، والترفع عن سفاسف الأعمال ، ومحقرات الأعمال

ولكن- يا للأسف أقوالها بمرارة - ثم خلف من بعدهم خلف ، أضاعوا العبادات وتبعوا الشهوات ، واقترفوا المحرمات ، وداسوا القيم ، ومزقوا العفاف ، وهتكوا أستار الحياء .

فإذا رأيتم التجار قد خربت ذممهم ، وكذبوا في أيمانهم ، وخسروا في تجارتهم ، فسبب ذلك فقدان الشرف لضياح خلق الحياء ، فالثقة أساس التعامل ، وسر الأخذ والعطاء ، ولا يوثق إلا بشريف المعاملة ، صادق القول ، يستحي من الغش والكذب والتضليل ، فالحياء ينظم المعاملات ، ويحفظ العهود ، ويصون التعاقد ، ويبعث على الصدق والأمانة

وإذا رأيتم النساء قد خرجن عرايا في الطرقات يعرضن أجسادهن وزينتهن للرجال الأجانب ، ولا يخجلن من التفاخر والتاثل ، فاعلموا . أن الحياء قد فارقهن وتبرأ منهن

. وإذا رأيتم رجالاً فقدوا الغيرة على نسائهم ، والحمية على بناتهم وصار بعضهم لا يسأل ولا يشعر ، فقد ذهب الحياء وذهب الخجل

وإذا رأيتم أمة مهانة في كرامتها ، مستعبدة في عزتها ، ذليلة في مروءتها ، لا يخجل أبنائها من الاستعباد للأجنبي ، فقولوا أين الإباء ؟ أين الشمم ؟ أين الرجولة ؟ أين الحياء ؟ أين الكرامة ؟

فاتقوا الله أيها المربون في أعراضكم وفي معاملاتكم . واعلموا أن الحياء في المعاملة يسمى شرفاً وعزاً ، وفي النساء يسمى عفة وطهارة ، وفي خدمة الحق يسمى إباءً وشمماً ، وفي حفظ الأعراض يسمى غيرةً ونخوة ، فإذا ذهب الحياء فعلى الدنيا العفاء .

وبعد .. فنظرًا لما لهذه الخصلة من تأثير في الفرد و المجتمع والأمة ، ولما لها من مزايا وفضائل ، فقد رأيت أن أقوم بجمع طائفة من المحامد التي تثني على المتخلفين بها لعلها تكون قبسات مضيئة تنير طريق الوصول إلى العفة والطهر والنقاء حتى نعود إلى أخلاقنا التي يمثل فيها . سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - المثل الأعلى . والله المسؤول أن ينفع به المسلمين

: كتبه

محمد عطا رمضان